لقاءات رمضان ١٤٣٤هـ

اللقاء السادس : تفسير الآيات ٢٠-٢٦ من سورة المائدة

أ.أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

– منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

– هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

/http://www.muslimat.net

– الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
نحن نلتقي بفضل الله وبمنّته علينا في لقائنا السادس من ضمن لقاءات هذا الشهر المبارك.

وآياتنا اليوم من **سورة عظيمة وهي سورة المائدة، التي تسمّى: سورة العقود**، وفيها من ذكر العهود والعقود الشيء الكثير.
ونختار اليوم الكلام عن موقف بني إسرائيل مع موسى عليه السلام، وكيف أنهم خالفوا العهد والوعد ونقضوه، وما كان منهم من ضعف إيمان، وكيف عاملهم الله عزّ وجلّ المعاملة التي تليق بهم؛ وقد ذكر الله في الآية ١٢ من هذه السورة أنه أخذ الميثاق من بني إسرائيل فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[1] إلى آخر الآيات، فهذا دليل على **أنّ الله عزّ وجلّ أخذ منهم الميثاق**.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ المائدة: ٢٠ – ٢٦.

[1] [المائدة : ١٢]

وفي الآيات السابقة كان موقف من مواقفهم مع الميثاق، والله عزّ وجلّ يخبرنا عن حالهم في أحد **المواثيق**:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يذكرهم بنعم الله عزّ وجلّ، يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وعدَّ لهم النعم:

إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ هذه نعمة

وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا سنرى ما معنى ملوكًا

وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ بمعنى أنه أعطاهم أي شيء؟ هذا سيكون سؤالنا: أعطاهم أي شيء ما لم يؤت أحدًا من العالمين؟ لما ذكرهم النعمة أراد منهم أن يفعلوا أي شيء؟

قال: يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ أمرهم أ ن يدخلوا الأرض المقدسة.

ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ما معنى أن الله كتبها لهم؟

وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ ماذا يحصل لكم لو ترديتم على أدباركم؟

فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ بعدما ذكّرهم بالنعمة وأمرهم بالأمر ماذا فعل بني إسرائيل؟

قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ أن الأرض المقدسة التي تريدنا أن ندخل فيها، فيها قومًا جبارين.

وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا يعني لن نقاتلهم فندخلها إلا إذا خرجوا منها معنى ذلك أنهم خرجوا منها بسبب غير سبب قتالهم .

فَإِنَّا دَٰخِلُونَ إذا حصل هذا فإنا داخلون، فردّ عليهم رجلان:

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ما صفة هذان الرجلان؟ يخافون، أنعم الله عليها بأي شيء؟ سنرى..

ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ يصفون لهم حال لو فعلوها سيكونون هم الغالبون.

وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ هذاكلام الرجلان، فموسى عليه السلام حضهم، والرجلين أيضًا قاموا بنفس الفعل، ردّهم الآن:

قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا تحقيقًا، أي:مدة حياتنا لن ندخلها، هناك قالوا لن للتأبيد وهنا أعادوا هذا التأبيد.

فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ فما كان من موسى عليه السلام إلا أن توجّه لربه:

قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ، قال الله عزّ وجلّ:

قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ.

هذه **عهود وعقود** بينهم وبين الله وهذا **جزاء من لا يفي بالعهد والعقد** في سورة العقود، يعني هذا الخبر سمعته عن بني إسرائيل في سورة العقود؛ ليبيّن لك **كيف يعامل الله عزّ وجلّ من نقض عهده.**

ونجيب على الأسئلة التي ظهرت لنا خلال قراءة الآيات من كلام السعدي –رحمه الله– ونقف على بعض الفوائد المهمة في تفسير هذه الآيات.

قراءة تفسير الآيات من تفسير السعدي والتعليق عليها:

يقول: "**لما امتنّ الله على موسى وقومه بنجاتهم من فرعون وقومه وأسرهم واستبعادهم، ذهبوا قاصدين لأوطانهم ومساكنهم، وهي بيت المقدس**" التي كان فيها أجدادهم: يعقوب عليه السلام وبنيه.

وما حواليه، وقاربوا وصول بيت المقدس، وكان الله قد فرض عليهم جهاد عدوهم ليخرجوه من ديارهم. والمعنى أن هذا فرض واجب عليهم خصوصًا أنهم يعلمون أن الله امتنّ عليهم بالمنن العظيمة، فكيف لا يأتمرون بالأمر؟!

قال: **فوعظهم موسى عليه السلام؛ وذكّرهم ليقدموا على الجهاد فقال لهم: { اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ}**. كيف يذكرون نعمة الله عليهم ؟

قال الشيخ : **بقلوبكم وألسنتكم**، العبد يذكر نعمة الله بقلبه ولسانه.

فإن ذكرها –ذكر النعم– **داع إلى محبته تعالى، ومنشط على العبادة.**

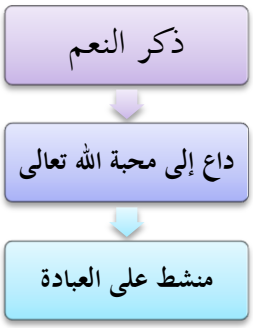

إذن اذكروا نعمة الله عليكم، وهذا كلام يخاطب موسى بني إسرائيل به وكل من يصلح له الخطاب يخاطب به، اذكروا دائمًا نعمة الله عليكم، اذكروها بقلوبكم وألسنتكم، وليذكّر بعضكم بعضًا، فإنّ هذا أثره سيكون داع لمحبة الله، ومنشط الإنسان لعبادة الله، أما النعم التي تخص بني إسراءيل فقال:

{إذ جعل فيكم أنبياء}، ماذا يفعلون؟

١ – يدعونكم إلى الهدى.

٢- يحذرونكم من الردى.

٣- ويحثونكم على سعادتكم الأبدية.

٤- ويعلمونكم ما لم تكونوا تعلمون.

إذن هذه المصلحة **من وجود الأنبياء ومن تبعهم**، فإنهم للأمم يدعون إلى الهدى ويحذرون من الردى ويحثون على السعادة الأبدية ويعلمون الناس ما لم يكونوا يعلمون، فهذه نعمة عظيمة ونستشعرها **وقت ما نصلي على نبينا -صلى الله عليه وسلم- وعلى جميع الأنبياء**، وإيماننا بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وبجميع الأنبياء :

- يجعلنا نقدر لهم قدرهم
- ونعرف لهم سابقتهم

ولهذا يكون النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؛ لما له عليهم من فضل ومنة، ميَّزه الله وجعل له المكانة، فكانت هذه أول نعمة ذكر موسى بها بني اسرائيل. النعمة الثانية:

{وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا} ما معنى جعلوكم ملوكا؟ قال :

{ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا } تملكون أمركم، بحيث إنه زال عنكم استعباد عدوكم لكم، فكنتم تملكون أمركم، وتتمكنون من إقامة دينكم.

أي: تملكون شأن نفسكم ولستم عبيدًا يتحكم فيكم غيركم، وخروجكم من أرض مصر من عند الفراعنة الذين تسلطوا عليكم زمنًا طويلًا نعمة من الله تجعلكم أشدّ الناس شكرًا، ثم ذكرهم فقال:

{وَآتَاكُمْ} من النعم الدينية والدنيوية {مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ}، فإنهم في ذلك الزمان خيرة الخلق، وأكرمهم على الله تعالى. وقد أنعم عليهم بنعم ما كانت لغيرهم.

في ذلك الزمان أنعم الله عليهم بأن جعلهم خيرة الخلق، لكن ماذا فعلوا؟ سنرى كيف عاملوا هذه النعم.

يقول الشيخ : **فذكرهم بالنعم الدينية والدنيوية، الداعي ذلك :**

- **لإيمانهم وثباته**، يعني هذه الذكرى بالنعم الدينية والدنيوية أثرها أن يثبت إيمانهم، وأيضًا:
- **وثباتهم على الجهاد**، يعني يثبت إيمانهم وهم يثبتون على الجهاد.
- **وإقدامهم عليه.**

إذن هذه النعم لو تذكروها كما ينبغي ستكون النتيجة أن يثبت الإيمان ويثبت قدمهم في الجهاد ويقدمون على الجهاد متحمسين له، جاعلينه وسيلة للشكر على نعمة الله.

ولهذا قال: { يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ } أي: المطهرة، والمقصود بها القدس -بيت المقدس وما حوله- التي كتب الله لكم.

كان سؤالنا ونحن نقرأ الآيات ما معنى {كتب الله لكم} ؟

الجواب: **{الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ } فأخبرهم خبرًا تطمئن به أنفسهم، إن كانوا مؤمنين مصدقين بخبر الله، وأنه قد كتب الله لهم دخولها، وانتصارهم على عدوهم.**

يعني إن عزموا ودخلوا كتب الله لهم النصر، فماذا فعلوا تجاه هذه النعم العظيمة المتعددة سواء ما ذكرهم به من نعم سبقت أو ما وعدهم الله أنهم لو دخلوا سيكتب لهم النصر؟

{وَلَا تَرْتَدُّوا} أي: ترجعوا {عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ } قد خسرتم :

- **دنياكم : بما فاتكم من النصر على الأعداء وفتح بلادكم.**
- **وآخرتكم : بما فاتكم من الثواب، وما استحققتم –بمعصيتكم– من العقاب.**

يعني لو تركتم هذا الأمر فتكونوا قد خسرتم دنياكم وأخراكم، أما الدنيا فقد خسرتم أن تكونوا الشجعان الذين ينتصروا على البلاد ويفتح لهم البلاد، وأما الآخرة فقد خسرتم ما فاتكم من الثواب على الإقدام، وأيضًا خسرتم بمعصيتكم لكم لأمر نبيكم، فبعد هذا التذكير والإرشاد والتحذير ماذا قالوا هؤلاء؟

قالوا قولًا يدل على :

١. **ضعف قلوبهم**
٢. **وخور نفوسهم**
٣. **وعدم اهتمامهم بأمر الله ورسوله.**

انظري إلى هذه الثلاثة: نفوس ضعيفة في الإيمان، قلوبهم ضعيفة الإيمان، ثم أنهم لا يتصفون بالشجاعة ولا بالهمة، إيمان ضعيف وخور في النفوس، والشأن العظيم أنهم لا يهتمون بأمر الله ولا أمر رسوله صلى الله عليه وسلم، فيخاطبهم موسى صلى الله عليه وسلم بهذه الخطابات وهم يردوا بهذه الردود التي تدل على **ضعف الإيمان.**

قالوا { يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ } شديدي القوة والشجاعة، أي: فهذا من الموانع لنا من دخولها. لماذا لا يريدون أن يدخلوا؟ لأن في القرية في البيت المقدس قومًا ما وصفهم؟ قالوا أنهم جبارين يعني غاية في القوة والشجاعة.

{وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ} قال الشيخ: **وهذا من:**

- **الجبن**
- **وقلة اليقين**

وإلا فلو كان معهم رشدهم، لعلموا أنهم كلهم من بني آدم!

يعني هذا الجواب دليل على أنهم جبناء من جهة أنفسهم وقليلي اليقين من جهة قلوبهم وإيمانهم، وإلا فلو كان معهم رشدهم، لو كان معهم عقل، لنظروا إلى هذين الأمرين ولعلموا أنهم كلهم من بن آدم؛ يعني بني

إسرائيل والقوم الجبارين الذين يقال عنهم في التاريخ أنهم الكنعانيون، الذين كانوا في بيت المقدس في ذلك الزمان كلهم من بني آدم، إذا كانوا كلهم يشتركون أنهم من بني آدم.

يقول الشيخ: **وأن القوي من أعانه الله بقوة من عنده**، يعني لا أحد يزيد على أحد إلا أن يمدّ الله أحد الطرفين بقوة؛ لأنهم كلهم من بني آدم الذي وصفهم أنهم ضعفاء، ومن القوي على الحقيقة؟

وأن القوي من أعانه الله بقوة من عنده، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

إذن هذا الأمر الأول: **قلة اليقين** الذي سبب لهم **قلة الرشد**، ما عندهم عقل رشد، نظروا إلى الأسباب المادية وعلموا أنهم أقوياء، فما كان منهم إلا أنهم خافوا، ولو كان عندهم عقل رشد لرأوا أنهم يشتركون معهم أنهم من بني آدم، وأن القوي من أعطاه الله القوة وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، الله هو من يمدّهم بالقوة، هذا الأمر الأول لم يرشدوا إليه لم يكن معهم عقل رشد.

الأمر الثاني : **ولعلموا أنهم سينصرون عليهم؛ إذ وعدهم الله بذلك، وعدًا خاصًا.**

في بداية الآيات أتانا خبر {يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} فإن كنتم شجعان كنتم أنتم من تُحصّلون، إذا لم تكونوا شجعان سيحصلها غيركم، لكن لا يوجد يقين في قلوبهم **بقوة الله** ولا **بوعد الله**.

{قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ} الله تعالى، مشجعين لقومهم، منهضين لهم على قتال عدوهم واحتلال بلادهم. {أنعم الله عليهما} -بأي شيء أنعم عليهما؟-بالتوفيق، وفقهم الله أن يقولوا هذا الكلام، وكلمة الحق في هذا الموطن المحتاج لمثل كلامهم .

يعني أنعم الله عليهم بالتوفيق وفقهم باعتقاد الحق، وأيضًا سددهم أن يقولوا كلمة الحق في هذا الموقف الذي يحتاج فيه لكلمة الحق، وأنعم عليهم أيضًا بالصبر واليقين، هذه أربعة أمور عظام أنعم بها عليهم:

١-التوفيق.

٢- وكلمة الحق في الموطن الذي يحتاج إلى الحق فيه.

٣-الصبر.

٤-اليقين.

وهذه كلها **تخرج عبدًا صالحاً** وهذه كلها **تخرج من الخوف من الله** {قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ الله} يخافون الله، فلأنهم ممن يخاف الله وفقوا، وقالوا كلمة الحق، وصبروا، وكانوا على يقين أن ما يقولونه هو الحق؛ ماذا قالوا لهم؟

{ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ } أي: ليس بينكم وبين نصركم عليهم إلا أن تجزموا عليهم، وتدخلوا عليهم الباب. تجتمعوا وتدخلوا عليهم الباب.

وما أحسن أثر الاجتماع على ما أمر الله ما أحسن الاجتماع على ما يحب الله.

فإذا دخلتموه عليهم فإنهم سينهزمون،وهذا لأن الله وعد بذلك.

ثم أمَرَاهم بعدة هي أقوى العدد، فقالا {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} فإذن دلوهم على السبب وهو: اجتمعوا وادخلوا عليهم الباب، ودلوهم على العبادة على العدة التي **هي أقوى العدد التي تنفع بدون سبب ولا تنفع الأسباب وإن وجدت إذا فقد هذا السبب وهو التوكل.**

فإن في التوكل على الله – وخصوصا في هذا الموطن– تيسيرًا للأمر ونصرًا على الأعداء، ودل هذا على وجوب التوكل، ودل هذا على أن كل من يكون في هذا الموطن فإنه يؤمَر:

- **بالتوكل**
- **بالاعتماد على الله**
- **بأن يراجع يقينه في الله .**

قال : **وعلى أنه** – أي هذه الآية تدل أيضًا–، **بحسب إيمان العبد يكون توكله؛ لأنه قال الله عزّ وجلّ:** {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}

يعني إذا كان معكم إيمان عليكم بالتوكل **إذن التوكل مقياس الإيمان وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله.**

فماذا كانت النتيجة؟ يقول الشيخ:

فلم ينجع فيهم هذا الكلام، ولا نفع فيهم الملام، لم يخرجوا بنتيجة، قالوا هذا الكلام الواضح البيّن، اجتمعوا وادخلوا عليهم الباب، توكلوا إن كنتم مؤمنين، فإن التوكل خير عمل يقوم به من أراد النصر، إن وجد هذا التوكل صنع الله لهذا العبد ما لا يصنع لغيره، كل هذا الكلام لم ينجع معهم!

فقالوا قول الأذلين: {يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم لنبيهم في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرة نبيهم، وإعزاز أنفسهم.

وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم –وانظروا إلى فضل الصحابة رضوان الله عليهم المهاجرين والأنصار خاصة في هذا الموقف الأنصار – **حيث قال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين شاورهم في القتال يوم « بدر » مع أنه لم يحتم عليهم** – القتال–: **يا رسول الله، لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ولو بلغت بنا برك الغماد ما تخلف عنك أحد.**

(برك الغماد) هذا يكون في جنوب الجزيرة، على خط ساحل البحر الأحمر، فكأنهم يقولون لو خرجت بنا إلى البحر سنخرج ولو نزلت بنا إلى ذاك المكان البعيد سنذهب، يقول الصحابة:**ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: (اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك!**

رضي الله عنهم أجمعين وألحقنا بهم في تلك الدار العظيمة التي يجتمع فيها الأحباء، فإنّا نُشهدك يارب أننا نحبّ نبينا، ونحب صحبه الكرام، ونعلم مكانتهم التي رفعتهم بين سائر أتباع الأنبياء، فإن **ليس بعد الأنبياء خلق خيرٌ من أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم** رضي الله عنهم أجمعين.

فلما رأى موسى عليه السلام عتوهم عليه تحول لمناجاة ربه، قال الشيخ: **{ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي } أي: فلا يدان لنا بقتالهم، ولست بجبار على هؤلاء.**
بمعنى لا أستطيع أن أقودهم قيادة الجبارين وأرغمهم على القيام بالقتال **{ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } أي: احكم بيننا وبينهم، بأن تنزل فيهم من العقوبة ما اقتضته حكمتك، ودلّ ذلك**
يعني مادام دعى عليهم هذا الدعاء وناجى ربه هذه المناجاة **على أن قولهم وفعلهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق.**

فعاقبهم الله عقوبة وأدبهم أدب عظيم { قَالَ } الله مجيبًا لدعوة موسى: {فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ }

يحرم عليهم ليس تحريما شرعياً إنما تحريماً كونياً بمعنى يحرمهم من الدخول أربعين سنة، ماذا يحصل لهم في الأربعين؟ يتيهون في الأرض!

أي: إن من عقوبتهم أن نحرم عليهم دخول هذه القرية التي كتبها الله لهم، مدة أربعين سنة، وتلك المدة أيضا يتيهون في الأرض، لا يهتدون إلى طريق ولا يبقون مطمئنين، وهذه عقوبة دنيوية، لعل الله تعالى كفر بها عنهم، ودفع عنهم عقوبة أعظم منها.

يعني الذي يظن أن هذه العقوبة التي وقعت عليهم عقوبة من أجل أن يؤدبهم الله ويكفر عنهم سيئاتهم، **ودفع بهذه العقوبة عقوبة أعظم منها وهذا ما نظنه**، لأنهم في هذا التيه كان يأتيهم المنّ والسلوى وظلل عليهم بالغمام، فهذا دليل على أن هذه العقوبة **كانت تأديباً لهم**، من أجل أن يتربوا ويعرفوا منة الله، فبعدما كانوا مملوكين لفرعون جعلهم ملوكًا لهم منازل لا يدخل غيرهم عليهم إلا بإذنهم، وملكهم خدمًا فالبيت والزوجة والخادم كل هذا دليل على أنهم أصبح لهم منزلة، فكيف بعد هذه النعم يأتي الأمر الذي يزيد صلاح دينكم ودنياكم يكون ردكم ما ذكرتم؟!

{وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ}

- فلق البحر
- وأهلك العدو
- وجعلهم آية عظيمة

ومع ذلك كل هذا الذي ذكروا به لم ينفعهم، ذكروا بالنعم، ذكروا بعطاء الله، ذكروا بالطريق ادخلوا عليهم مجتمعين، ذُكروا بأمر من بأهم الأمور وهو التوكل على الله، فما كان منهم إلا هذا الرد الذي يدل على **ضعف الإيمان وجبن النفس**، وحكم الله عليهم أن يتيهون **أربعين سنة** في الأرض! يتحيّرون في الأرض، فلا يستطيعوا أن يصلوا إلى مرادهم.

وهذا كما ذكر الشيخ: **وهذه عقوبة دنيوية، لعل الله تعالى كفر بها عنهم، ودفع عنهم عقوبة أعظم منها**، نستفيد من هذا يقول الشيخ : **وفي هذا دليل على أن العقوبة على الذنب :**

- **قد تكون بزوال نعمة موجودة.**
- **أو دفع نقمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر.**

يعني من عقوبات الذنب أن يزول عن العبد **نعمة موجودة أو يزول عنه دفع نقمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر** : وهذا معناه **أن الذنوب تحرم العبد عناية الله به ، وحفظه له .**

ولذلك إذا وقع العبد في الذنوب فآثارها السريعة عليه -إن لم يسارع بالتوبة والاستغفار- **أن يقع له حرمان من نعمة موجودة عنده**، أو **حفظٌ من نقمة انعقدت أسباب وجودها**، فتقع عليه أمور كان سابقًا محفوظًا منها.

لماذا يتيهون أربعين عام ؟ ولعل الحكمة في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعباد لعدوها، ولم تكن لها همم ترقيها إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها.

يعني ربما السبب **في الأربعين عام** أن يكون هذه الأربعين عام مدة لموت من قال هذه المقالة، ما صفاتهم هؤلاء؟ نفوسهم ألفت **الاستعباد** و**لم تكن لهم همم ترقيهم** في مقابلها سيظهر ناشئة جديدة يقول: **ولتظهر ناشئة جديدة تتربى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد، والذل المانع من السعادة.**

ولذلك **وقت الفتن** ترى الناس في هرج ومرج مخالفين للسنة بعيدين عنها لا تجد عندهم تعظيم، فأنت ماذا تفعل؟ تتخطى هؤلاء الموجودين الذين صمّت آذانهم بسبب الفتنة، تتخطاهم إلى ما بعدهم، تتخطاهم لترى الأطفال الصغار الناشئة فتربيهم على **تعظيم الله**، و**توقير النبي** صلى الله عليه وسلم، **وتعظيم القرآن** من أجل أن تتحاشى الفتن التي يعيشها العالم الإسلامي، عليك بتخطي الكبار الذين اعتادوا معارضة الكتاب والسنة، اعتادوا التهجم على ثوابت الأمة، تخطاهم إلى الناشئة، واترك الكبار لا بأس يربيهم الله، ويأتيهم من الصوارف والأحوال ما يساعدهم على صلاح أنفسهم، لكن عينك على الناشئة؛ لأن **في وقت الضجيج الكبار لا يسمعون**، والصغار **لا يسمعون الضجيج فيسمعونك أنت** الذي تدعو إلى الله تعظم الله وتوقر النبي صلى الله عليه وسلم وتعظم القرآن.

وهذه وصية أرجو من الله أن تنفعني وتنفعكم، فإننا نرى في أنحاء العالم الإسلامي من أصم أذنيه ضجيج الفتنة وأعمى عينيه الدماء التي سالت في كل مكان ، فلا يريد أن يقول: سمعًا وطاعة لأمر لله وأمر رسوله، فإننا نتعداه إلى الناشئة، ونربيهم **لكي يطيعوا الله ويطيعوا رسوله ولا يعصونه**، ولا يكون صفتهم مثل صفة بني إسرائيل يأمرهم نبيهم يذكرهم فلا يأتمرون ولا يذكّرون نعمة الله عليهم يقول : **ولتظهر ناشئة جديدة تتربى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد، والذل المانع من السعادة.**

الآن هذه **خاتمة الآية** : **ولما علم الله تعالى أن عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق، خصوصا قومه، وأنه ربما رق لهم، واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها،**

مع أن الله قد حتمها، قال: { فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلما منا.

يعني بعد ما وقعت عليهم عقوبة التيه ربما وقع في قلب موسى عليه السلام رقة لهم وشفقة، فيدعون لهم بزوالها – بزوال هذه العقوبة– مع أن الله قد حتمها وجعلها محتّمة على بني إسرائيل فقال لنبيه موسى {فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ }

أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلمًا منا.

وهذا أمر غاية في الأهمية فإن العقوبات التي تنزل على العباد لا تكون إلا بسبب :

- ما جروه لأنفسهم من العناد
- وما جروه لأنفسهم من معصية أمر الله
- والاستهانة بأمر نبيه

فإن بني إسرائيل ومن هو على شاكلتهم صفته أنه فاسق والفاسق أهم أوصافه: أنه لا يعظم أمر الله ولا أمر رسوله، إن **الفاسق :هو الذي يخالف الأمر الذي أمر الله أو أمر رسوله صغيراً كان أو كبيرًا من منطلق الاستهانة،** من منطلق عدم تعظيم الأمر، وإلا كل ما كان على بني إسرائيل أن يمتثلوا الأمر ويسيروا جماعة ويدخلوا الباب متوكلين على الله ووعدهم بالنصر فكان سيحصل لهم ما وعدهم الله لكن الفسق أي: **الاستهانة بأمر الله وارتكاب المحظورات وعدم امتثال الأوامر** من منطلق عدم العناية، من منطلق الاستهانة،هذا أعظم الأمور خطراً، فإن أهل التقوى يتقون، يعظمون أمر الله ويتقونه فيغفلون أو يسقطون تزل قدمهم بشيء يجرهم، تغلبهم شهوتهم فيسقطون، يغضبون فيخطؤون، لكنك لا تجدهم يستهينون بأمر الله، **لا تجد أهل الإيمان والتقوى يستهينون،** فمن كان مستهينًا بأمر الله **لا يعتني بأمره أو نهيه،** كان فاسقًا فيه شبه من بني إسرائيل، **ومَن أخطأ وقع في الذنب لكن مصدر ذنبه هو عدم تيقظه،** غفل غضب غلبته شهوته، هذا كله يقع، والفارق كما اتفقنا تام الوضوح، لا تتجرأ على محارم الله، لا تستهين بأمر الله، لا تقول عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا أمر صغير، لا تقول هذا على شيء ليس بواجب، لا تعامل أوامر الله بهذه الصورة ولا أوامر رسوله، بل قل: سمعًا وطاعة، قل: سمعنا وأطعنا، **اسمع وأطيع واطلب الغفران** سمعنا واطعنا، **واطلب الغفران وأنت شديد الحاجة إلى هذا الغفران وهذا الواجب علينا أن نربيه في أجيالنا جيلاً بعد جيل.**

وكما استفدنا من هذه الآيات استفادة عظيمة وهي الغلبة على قوم شقاوة من نوع معين ضعف توقير النبي أو ضعف تعظيم لأمر الله فاعتني بالناشئة، **إذا اعتنيت بالناشئة خرج جيلاً يعظم الله ويوقر النبي . صلى الله عليه وسلم . ويعظم الكتاب ويعظم أوامر الله،** وهذا من **أعظم المقاصد.**

أسأل الله عزّ وجلّ أن يحقّق لي ولكم مقاصد الخير والبركة، وأن يصرف عنا الشر، وأن يصرف عنا آثار ذنوبنا.

لابد نعتني في هذه الأيام الفاضلة بكثرة الاستغفار طلبًا منه سبحانه وتعالى أن ينزل علينا البركات **فإن البركات معقودة بالغفران**، فلنقل سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا **فطلب المغفرة يأتي بعد السمع والطاعة**، سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.